كتاب بول بريمر الصادر حديثاً حول تجربة عمله في العراق

سنتي في العراق

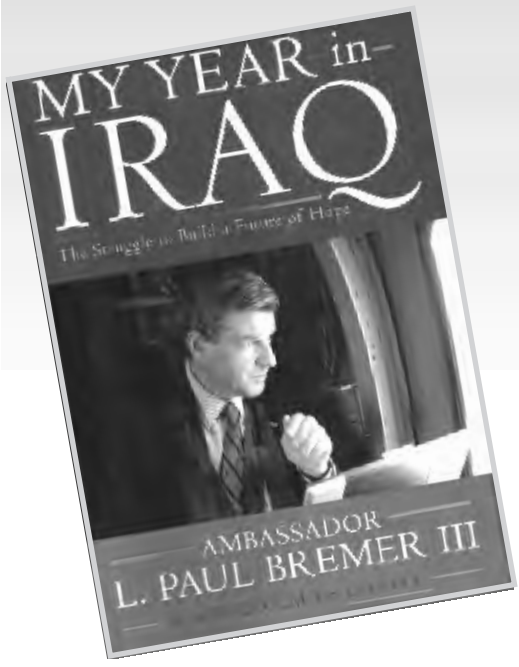

الصراع لبناء مستقبل من أمل

تأليف/ بول بريمر
ترجمة/ د. عابد اسماعيل

(الحلقة الثالثة)

منفّذاً وعده، سلّمني بوش رسالة في التاسع من أيار تشير إلى تعييني مبعوثاً للرئيس في العراق، بصلاحيات كاملة، أمارسها على كلّ موظفي الحكومة الأميركية، ونشاطاتها وتمويلها هناك. وحذا حذوه رامسفيلد بأن عينني مديراً لسلطة التحالف المؤقتة، مسلّحاً بكلّ "الوظائف التشريعية والتنفيذية والحقوقية" في العراق. هاتان الوثيقتان، المحشورتان في حقيبتي المتخمة بالأوراق، على المقعد القاذف للطائرة (C-130) أعطتاني القوة التي أحتاجها لهذا العمل، وكنت متلهّفاً لأن أبدأ.

خفَتَ ضجيجُ محرّك الطائرة ثانيةً. كنا قد ارتفعنا لأكثر من ٥٠٠ قدم. أصواتٌ تطنّ، وأرضُ الطائرة بدأت تميلُ تحت أقدامنا. إشارات الهبوط بدأت تعمل. كنّا نهبطُ في بغداد. أعضاء فريقي صعدوا في سيارة مصفّحة، سارت وسط قافلة صغيرة، تحميها من المقدمة والمؤخرة سيارات (هامفي) مدرعة، تعتليها الأسلحة الأوتوماتيكية وقاذفات القنابل. فصيلتان من حرس الأمن، بسترات واقية، يحملون أسلحة أوتوماتيكية، ركبوا في عربات مصفّحة، وساروا خلفنا وأمامنا. ما إن مررنا بالمسلك المثقب بالرصاص، كانت طائرة أباتشي، بمظهر شرير، تهدر فوقنا، مشكّلةً غطاءً جوياً.

شعرنا بقشعريرة التكييف داخل السيارة، بعد الحرارة الشديدة التي واجهتنا على الطريق الإسفلتي. إنه أيار فقط، قلتُ في نفسي، فكيف سيكون عليه الحال في آب؟

طريق مطار بغداد، المؤلّف من مسارب ستة، هو، مثل كل شيء آخر في العراق، كان قد سُمّي تيمناً بصدام حسين. كان الطريق مهجوراً تقريباً، ونحن نسرع باتجاه مركز المدينة، خمسة أميال باتجاه الشرق. كانت دبابات أبرامز، وعربات برادلي المقاتلة تحمي بعض، وليس كل، المنافذ والثغرات، فيما وهج الحرارة يشعّ من دروعها البنية، المكسوة بالغبار. كان رتل من سيارات (هامفي) يتجه غرباً، ولم تكن هناك سيارات عراقية على الطريق، باستثناء ركام شاحنات سود أو سيارات جيب، روسية الصنع، ترقد مدمرة، إثر القتال الشرس، والقصير الأمد، للاستيلاء على بغداد.

كانت الإشارات الخضر للطريق الرئيسية، المكتوبة بالأحرف العربية واللاتينية، والتي تدلّ على مسافات المخارج، تعطي الطريق الخاوية مسحةً سريالية. كان يمكن أن نكون في فيلم خيالي عن لوس أنجلس بعد القيامة، المدينة التي تضاهي بغداد من حيث المساحة وعدد السكان. وفيما كنا نقترب شيئاً فشيئاً من قلب العاصمة، رحتُ أحدق بالجادات، المتقاطعة، والخاوية، من خلال سياجات الدفلى، وهي تحدّد طرق السير الموازية. لم تكن توجد حركة سير على أي من هذه الشوارع. غير أن الدخان كان أكثر كثافة هنا، يفور في سحب رمادية أو سود، متصاعداً من النوافذ الملفوحة بالهباب، للأبنية الحكومية.

بعدئذ، سمعنا إطلاق نار لأسلحة خفيفة تأتي من يمين الطريق. وقع بصري على سيارة شحن (بيك آب)، بيضاء، متسخة، تدور حول الزاوية، ينتصب فيها رجلان يتكئان على كومة مقلوبة من الأثاث في سرير الشاحنة. الشاحنةُ اختفت خلف أيكة من أشجار النخيل، على طول الكتف اليمني للطريق.

"رجال يقومون بأعمال النهب،" قال سكوتي نوروود من مقعده الخلفي. "يُطلقُ عليهم جنودنا (ساحبي الأسرة)، لأنهم لا يملكون في العادة واسطة نقل. أعتقد أن هؤلاء قد وجدوا الشاحنة، ويبدو أن أحدهم يدافع عن ممتلكاته." أومأتُ برأسي، هازئاً من هذه المفارقة، متذكراً أعمال النهب والسلب في لوس أنجلس خلال مظاهرات رودني كينغ عام ١٩٩٢، وحيث أن قسم البوليس في تلك المدينة لم يكن قادراً أو ربما راغباً بوقف الفوضى، تعالت دعوات للاستنجاد بالجنود من أجل التدخّل لإعادة النظام بالقوة. بعد مرور أحد عشر عاماً، في بغداد، ذابت قوات الأمن العراقية، ومعها الجيش العراقي، أقصد اختفت أو "حلّت نفسها" حسب المصطلح العسكري. وبالطبع، فإن الأربعين ألفاً من جنود المارينز الذين يحتلون بغداد الكبرى، لم تكن لديهم الأوامر لوقف اللصوص.

مررنا بأكثر من رتل دبابات وعربات (برادلي)، على طول طريق المطار، ورأينا المزيد من العربات الأمريكية المدرعة، وسيارات (هامفي)، تنصبُ على متونها مدافع رشاشة، وتربض في وضعية دفاعية، في شمال وجنوب الطريق العام. كنا قد رأينا للتو سيارة شاحنة (بيك آب) مليئة بالمسروقات تشق طريقها بعيداً، لا يتحداها أحد سوى مواطن بائس يطلق النار من سلاحه (AK-47).إن رشقة واحدة من مدفع دبابة أبرامز كان كفيلاً بجعل البيك آب تتبخّر، مع لصوصها. ولكن، استناداً إلى ايجاز صحفي من القيادة المركزية في قطر، لم يكن لدينا قوات كافية في بغداد "لحماية أهداف تكتيكية أساسية"- دوائر مواصلات، جسور، مفاعلات طاقة، مصارف، مستودعات ذخيرة- ومن ثمّ تنظيم دوريات في الشوارع أيضاً.

تذكّرتُ كلمات تقرير (رائد). يجب أن يتغيّر كلّ هذا. وبسرعة. كانت تلك، بشكل أو بآخر، أولى موجات النهب والسلب، بعد سقوط بغداد في نيسان والتي عجّلت بتعييني مبعوثاً رئاسياً في العراق. وما إن خمدت النشوة بين الحشود العراقية التي حيّت الإطاحة بتمثال صدام حسين في ساحة الفردوس، والتي بُثّت صورها في كل أنحاء العالم، حتى بدأت وسائل الإعلام العالمية بتغطية لا تتوقف لأعمال السلب التي تلت. وكأن طاقم كاميرات التصوير أداروا عدساتهم، فجأة، من صور الدبابات الأمريكية المنتصرة، وهي تقتحم مواقع العدو، إلى تغطية مستمرة لرجال كالحين يسلبون الأبنية الحكومية، حاملين على ظهورهم المقاعد والكراسي وأجهزة التبريد المركزية، والشمعدانات الكريستالية، والتحف المزخرفة.

شبكات التلفزة المتنافسة، مدفوعة بشهوتها لتصيّد مشاهد "بصرية" دامغة، كانت تستمتع بتغطية مراسليها الفوضى العارمة في شوارع بغداد. إلاّ أن وزير الدفاع دونالد رامسفيلد لم يكن مستمتعاً. خلال مؤتمر صحفي للبنتاغون في الحادي عشر من نيسان، خرج عن طوره.

"تصفحت جريدة هذا اليوم، ولم أستطع أن أصدّق،" أعلن رامسفيلد. "قرأت ثمانية افتتاحيات تتحدث عن الفوضى، والعنف، والقلاقل. إنها النغمة نفسها، فالسماء تتداعى. لم أر شيئاً يشبه ذلك من قبل! ونحن لا نزال أمام بلد تحرر للتو، وأمام بشر تعرضوا للقمع، تحت قبضة ديكتاتور شرير، وهاهم أحرار. الصور التي ترونها على شاشات التلفزيون، وتعاد المرة تلو المرة، هي نفس الصور لنفس الشخص الخارج من مبنى ما، حاملاً جرة مزهرية، وهذه ترونها عشرين مرة متتالية، ما يجعلكم تقولون: إلهي، ...أتوجد كل هذه الجرار في هذا البلد؟"

غير أن انتقاد رامسفيلد كان يخفي أولى تباشير القلق في دوائر البنتاغون، حيث أن المسؤولين العسكريين والمدنيين التابعين للوزير، والذين تقع على عاتقهم مسؤولية عراق ما بعد الحرب، بدأوا يواجهون واقع احتلال بلد إسلامي شاسع، يقع في قلب الشرق الأوسط المتفجر.

الآن، وفيما كنت أدخل، في تلك الظهيرة الدخانية، وسط بغداد، فكرتُ باللقاء الذي جمعني مع جي غارنر في الكويت، قبل ليلة فقط. كنت قد طلبت منه، ومن فريقه الرئيسي، أن يطيروا من بغداد، ويقابلوني في فندق ماريوت، على العشاء، للإطلاع على آخر التطورات. وقعتُ في محبة جي على الفور، ورأيت فيه رجلاً دمثاً، سلس التعامل، مع ابتسامة جاهزة ولكنة جنوبية. لكنّ جي لم يكن يبتسم كثيراً تلك الليلة. من الواضح أنه كان متضايقاً من التقارير الإعلامية التي قالت إنه استُبدل بسبب سوء إدارته عملية إعادة البناء التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة أسابيع. كان الخبران الرئيسيان في (نيويورك تايمز) و (واشنطن بوست) في ذلك الصباح يتحدثان عن عملية تغيير شاملة تطال (مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية)، بما في ذلك غارنر نفسه.

"كل هذه القصص وضعتني في موقف صعب، لا يطاق، جري،" قال غارنر.

"إنها التسريبات المعتادة فقط، يا جي،" قلتُ له مطمئناً، "ثمة أناس يملكون برامج وضغائن."

كنت متعاطفاً مع جي، هذا الجندي السابق الذي عاد من التقاعد، لا لشيء، سوى أنه يريد تقديم المساعدة لوطنه. وشعرت بقوة أن خدمته يجب أن تحظى بالتقدير، وأنه كان يستحقّ أن يعامل بكل احترام. غير أن التركيز المتواصل لوسائل الإعلام على "الفوضى" في بغداد قد أضر بصورة غارنر. لم يكن ذلك فقط بسبب بعبع رامسفيلد- الصورة النمطية لشاب يفرّ بجرة طويلة زرقاء- بل تلك التقارير الصحفية عن أرتال غاضبة من الناس على محطات الوقود، والنهب "الشامل" لمتحف العراق الوطني، حيث عمد اللصوص إلى سرقة الآلاف من القطع الأثرية، التي لا تقدر بثمن، والتي يعود تاريخها إلى فجر الحضارة في بلاد ما بين النهرين. يمكن أن يكون غارنر وفريقه قد ارتكبوا أخطاء، لكنه يمتلك تجربة أكبر في العراق مما أملكه، وكنت أريد انتقالاً هادئاً للصلاحيات بين مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية وبين سلطة التحالف المؤقتة الجديدة. هكذا، في ليل يوم الأحد في الكويت، وعلى المائدة خروف وأوراق عنب محشوة، كنت قد أكدت له رغبتي بضمه إلى إدارتنا. مع هذا، كنت أعي جيداً أنني حللت مكانه، ليس بسبب إخفاقاته، بل لأن الرئيس ورامسفيلد كانا يريدان أحداً يمتلك تجربة سياسية يتصدى للمهمة. وكقضية إجرائية، كنت أعلم أنني أحتاج إليه قريباً مني حتى أستطيع أن أثبت قدمي تحتي. في نهاية العشاء، شعرت بأن جي قد قرر المكوث في بغداد، حتى موعد مغادرته المحدد في الخامس عشر من حزيران.

الآن، بعد مرور عشرين ساعة، كانت قافلتنا تتابع طريقها عبر شارع القادسية الرئيسي، الخاوي، باتجاه دجلة، قرب ضاحية الكرخ، في بغداد، وهي المنطقة التي كانت تُستخدم كمحمية حصرية لنظام صدام. كنا نتوجه إلى مقرات (مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية) الذي أقامه غارنر في القصر الجمهوري، الذي يحتل مساحة لا تقل عن ثمانين هكتارا، عند منحنى النهر. للأفضل أو للأسوأ، هذا سيكون مقراً لسلطة التحالف المؤقتة، أيضاً.

توقفت سيارة الهامفي التي كانت تسير في المقدمة عند حاجز من أكياس الرمل، عبر بوابة القصر. وما إن دخلنا عبر المدخل المقوس، بين صفوف من شجر النخيل الملكية، المهملة، استرقتُ النظر إلى قبة الأجر الفيروزية التي تجلل الجناح اليميني. لم يكن البنيان يمثل الفيل الأبيض، كما كنت أتخيل في واشنطن، وأنا أدرس الصور الجوية للموقع. كان يمثل فيلاً فيروزياً.

من بين القرارات التي أُجبر غارنر على اتخاذها في حمأة الأحداث، في تلك الأيام الأولى بعد سقوط بغداد، هي اختيار هذا الموقع، والذي لم يكن صائباً البتة. لم يكن القصر فقط غير عملي، كونه كان معزولاً عن الحياة الثقافية والمهنية للعاصمة، بل لأنه كان مرتبطاً، بشكل لا مناص منه، بنظام البعث في أذهان العراقيين. كان ضباط المخابرات البعثيون قد عذبوا وأعدموا أعداداً غير معروفة من المنشقين، في الأقبية والغرف الخارجية لهذا القصر بالذات. عرفت ذلك حين دخلت أول مجموعة من العمال العراقيين القصر، بعد التحرير، وانفجروا بالبكاء لرؤيتهم برهاناً حياً على تبذير صدام.

القسم الأعظم من القصر بني في خمسينيات القرن الماضي ، في تبذير غريب لعائدات النفط البرجوازية في البلاد. لاحقاً، أضاف صدام حسين جناحين توأمين، لهما شكل الهلال، مزينين بصف من الأعمدة، مزخرفتين بأسلوب نازي جديد، يخلو من الذائقة، مع تمثالين من البرونز للديكتاتور، يبلغ ارتفاع كل منهما اثنتي عشرة قدماً. هذان التمثالان يعتمران قبعتين عسكريتين غريبتين، تمثل الخوذة الرمز للحكم البريطاني. دخلنا الردهة الرخامية، البراقة، ووجدناها مصلبة بأسلاك الكهرباء والاتصالات، ووجدت نفسي أشم نوعين من الرائحة: بقايا مازوت، وتواليتات، نقالة، معطلة. "لا كهرباء أو ماء جار، سيدي،" قال أحد حراس الأمن، من ذوي البنية القوية، وهو يرتّب لي حقائبي.

ولا توجد مكيفات هواء أيضاً. كان الضرر الرئيسي للبنية التحتية خلال المعركة إصابة مباشرة لمصنع المكيفات الهوائية، برأس صاروخي، موجّه حرارياً.

كنت على بعد ثمانية آلاف ميل، وقرن على الأقل، عن الوطن.

لاحقاً خلال ذلك المساء، وبعد مصافحة كل فرد تقريباً من آلاف الموظفين والجنود المتمركزين هناك في الموقع- بما في ذلك رجال الخدمة الشبان، المرحين، في المطبخ الشديد الحرارة- حضرت اجتماعاً، "على الواقف"، عقد في قاعة كبيرة في إحدى أجنحة القصر.

لم يكن هناك ميكروفون، فوقفتُ بجانب جي غارنر، على رأس الحشد، وكان علي أن أصرخ تقريباً ليتمكنوا من سماعي: "أولاً،" قلتُ، فيما كان صدى كلماتي يتردد عبر سقف المرمر، المزدان بالظلال، "أودّ أن أنقل امتنان الرئيس العميق إلى الجنرال غارنر وزملائه، لهذا العمل الاستثنائي الذي أنجزتموه تحت أكثر الظروف صعوبة. إني أتطلع للعمل مع كل فرد فيكم، لإعادة إعمار العراق."

كنت أعني هذه الكلمات، وكنت أرى حاجة لطمأنة موظفي مكتب الإعمار، المنهكين، المحبطين، خاصة أن العديد منهم كانوا يرون أن البيروقراطيين في واشنطن يجعلون منهم أكباش فداء فحسب.

بعد ذلك، انضممنا، غارنر وأنا، إلى حوالي ثلاثين من كبار الموظفين، واجتمعنا في غرفة مؤتمرات صغيرة كانت نوافذها تطل على باحة داخلية تعكس حرارة النهار. كان هذا بمثابة أول جلسة استماع تعقدها سلطة التحالف المؤقتة في بغداد. كان "مستشارونا الكبار" يشكلون جوهر سلطة التحالف، وهم موزعون على الوزارات العراقية، للعمل مع نظرائهم العراقيين في الخدمات المدنية، للمساعدة في تفعيل هذه الوزارات من جديد. إنهم مجموعة من الناس المخلصين، رجالاً ونساء، وجميعهم من المتطوعين. كان ضوء الشمعدان يشحب، ليعود ويضيء بقوة، وفقاً لمزاج المولّد الذي كان يهدر في الخارج، قرب المسبح الوسخ.

جلست على رأس بعض الطاولات التي رُتبت في شكل مربع. كان جي ونائبه، الميجر تيم كروس، يجلسان بجانبي.

"تعرفون حجم هذا التحدي أكثر مني،" قلتُ لهم. "لم تأخذ الولايات المتحدة وحلفاؤها على عاتقهم مهمة بهذه الضخامة منذ احتلال ألمانيا واليابان." بعض الوجوه المتعبة والمترقبة في الغرفة عبرت، بملامحها، عن موافقتها الرزينة.

"إرساء القانون والنظام سيكون من أولى أولوياتنا،" قلت مؤكداً. "إن تغطية وسائل الإعلام لأعمال السلب والنهب تجعلنا نبدو في حالة عجز." توقفتُ. "حين احتلت القوات التي تقودها أمريكا هايتي عام ١٩٩٤، أطلقت قواتنا النار على ستة أشخاص خرقوا منع التجول، وتوقفت أعمال النهب."

الجميع على الطاولة كانوا يحدّقون بي.

"أعتقد انه يجب أن نفعل الشيء ذاته هنا، حتى وإن عنى ذلك تغيير قواعد المواجهات."

خيم صمت مقلق على المجموعة.

"إن حراسة مباني الوزارات العراقية والمراكز التجارية هي قضية عاجلة وملحة. علينا أن نعمل جادين لإعادة البوليس إلى الشوارع."

توقفت ثانية، ثم عدلت من نبرتي. هؤلاء كانوا في معظمهم من جماعة غارنر. كانوا منكبين على عملهم من دون توقف، لمدة أسابيع. كانت وسائل الإعلام تصف أداءهم بالفاشل.

"أريدكم جميعاً أن تعرفوا كم أنا فخور بخدمتكم لوطنكم ولشعب العراق،" بدأت: "ينتظرنا عمل شاق جداً. وعلينا الآن أن ننظر إلى الأمام، وليس إلى الوراء."

بعد هذا الجهد لرفع معنوياتهم، طلبتُ جلسة "استماع دقيقة شاملة". خلال شوط محموم من اللقاءات التي أجريتها في واشنطن، كنت قد استمعت إلى ممثلين عن وزارات الدفاع والخارجية والمالية، وعن جهاز المخابرات المركزية (CIA)، وعن هيئة أركان الجيش العامة. لكن لم يقدم لي أي من هذه المصادر انطباعاً بمدى ما كان فيه هذا البلد "محطماً". بيتر غيبسون، من (مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية)، وأحد كبار المستشارين في وزارة الكهرباء، بدأ حديثه.

"سيدي، في كل أنحاء البلاد،" قال، "محطات الطاقة تولد فقط ثلاثمئة ميغاواط من الكهرباء. هذا لا يكفي مدينة صغيرة، فكيف ببلد يتجاوز عدد سكانه خمسة وعشرين مليوناً." "بحق الجحيم ماذا حدث؟" سألت.

"طائرات التحالف ومدافعه لم تستهدف محطات الطاقة." "الأمر معقد،" شرح لي، وقدم العديد من الضباط العسكريين الذين كانوا يراقبون الاجتماع بعض التفاصيل.

قبل الحرب، لم يكن العراق ينتج كهرباء تكفي الطلب. وبالتالي كان البعثيون ببساطة يقومون بترشيد الطاقة. وبشكل طبيعي، كان الشيعة في الجنوب والأكراد في الشمال يحصلون على الحصة الأقل. وخلال الحملة العسكرية التي استغرقت ثلاثة أسابيع، كان المسؤولون البعثيون وضباط الحرس الجمهوري يستخدمون قطع الكهرباء، على نطاق واسع، كنظام إنذار بأن أسراباً من طائرات الهليوكبتر الهجومية الأمريكية تتوجه، ليلاً، باتجاه الشمال. وحين كانت الكهرباء توصل ثم تقطع، كانت القوات الموالية للنظام تعرف كيف تطلق نيرانها بشكل أعمى، باتجاه السماء المظلمة. هذه التقطعات أصابت شبكات الطاقة الرئيسية بأضرار فادحة.

"كما أنّ لدينا مشكلة نهب وسرقة، طويلة الأمد." أضاف غيبسون.

كان اللصوص قد نهبوا محطات الطاقة، والشبكات الفرعية، وسرقوا أدوات التحكم والقياس، وأجهزة إلكترونية أخرى. بل إنهم أطاحوا بأبراج النقل من أجل الأسلاك النحاسية، التي كانت تُصهر في شكل قوالب وتباع في السوق السوداء في الكويت.

"ماذا عن شبكات التصريف؟" سألتُ. "معالجة الماء؟"

الصورةُ كالحةٌ أيضاً. خدمات أساسية أخرى، بما في ذلك التخلص من النفايات، وإطفاء الحرائق، كانت متفاوتة المستوى.

"معظم الجامعات والمدارس مغلقة،" أضاف مستشار وزير التربية، درو إردمان.

"التزويد بمياه الشرب في حالة متدنية جداً،" ستيف براونينغ، مستشار سلطة التحالف المؤقتة لدى وزارة الصحة. لكنه أردف بملاحظة أكثر تفاؤلاً. "لحسن الحظ، العديد من المستشفيات والعيادات لا تزال تعمل، بالرغم من أن النقص في الطاقة يعيق العمليات الجراحية."

الواحد تلو الآخر، راح يقدّم المسؤولون تقاريرهم المكفهرة.

"حسن،" قلتُ. "دعونا نتحدث عن البوليس."

بوب جيفورد، المستشار لدى وزارة الداخلية، التي تشرف على سلك الشرطة في العراق، تحدث بلهجة غير عاطفية. "ما كان موجوداً من قانون ونظام في عهد صدام قد انهار كلياً." بعد ثلاثة أسابيع من أعمال النهب العشوائية- يحركها غضب مكبوت طويلاً ضد النظام، أو قامت بها فلول البعثيين الذين "سُدّت في وجههم السبل"- تم تدمير العديد من الأبنية الحكومية في بغداد. نجت وزارة النفط فقط، لأن القوات الأمريكية تلقت أوامر بحراسة هذا الموقع. كانت تضم معلومات وأرشيفاً كاملاً عن حقول النفط الجنوبية والشمالية- الميراث المتبقي للشعب العراقي.

كانت أهداف أعمال السلب واسعة النطاق. ففي كل أرجاء البلاد، تم استهداف وتدمير معظم الأبنية المرتبطة بالجيش أو وكالات استخبارات صدام- في العديد من ثكنات الجيش السابقة، لم تبق حجراً على حجر. العديد من الشركات التي تملكها الدولة، وخصوصاً تلك التابعة لوزارة الصناعات العسكرية، تم نهبها وتعرية حتى جدرانها، بل بعضهم سرق شبكة المياه والصرف داخل هذه الجدران.

"أين هو البوليس؟" سألت.

غيفورد، الخبير في وزارة الخارجية حول موضوع الأمن الداخلي، مع تجربة في أفغانستان، نظر إلى زملائه حوله. "نظرياً، هناك حوالي أربعة آلاف شرطي، غير مدربين جيداً، يمارسون عملهم في بغداد. لكنهم مسلحون فقط بالمسدسات. معظمهم توارى أو اختفى، تماماً كأفراد الجيش. بعض هؤلاء اللصوص يملكون أسلحة رشاشة، وأتوماتيكية من طراز كلاشنكوف (AK)، بل وحتى قاذفات آر-بي-جي ،. أفراد الشرطة يحرسون عائلاتهم. هناك ارتفاع بمعدل الجرائم في الشوارع. ... والسطو المسلح، والخطف ...وجرائم قتل."

وتلقينا تقارير أيضاً عن اعتداءات جنسية. كان الاغتصاب من الوسائل الوحشية التي استخدمها صدام لإحكام السيطرة على شعبه. في كل مركز من مراكز الشرطة تقريباً، كانت توجد غرفة اغتصاب، وكانت الأكثر ازدحاماً بينها تلك الموجودة في أكاديمية الشرطة المركزية في بغداد.

يجب أن يكون لدينا المزيد من الدوريات العسكرية للجيش الأمريكي في الشوارع، كما استنتجتُ، وسجلت ملاحظة لضرورة الاتصال بالجنرال جون أبي زيد في قطر.

قبل أن تنتهي الجلسة، قلتُ للمجموعة أنني سأصدر أمراً بحل البعثيين قريباً. "وآمل أن أرتب إدارة عراقية انتقالية في منتصف حزيران. لكننا لن نستعجل في أمر الانتخابات لأن العراق ببساطة لا يمتلك أياً من الآليات الضرورية لإجرائها- لا توجد إحصاءات رسمية، أو قوانين اقتراع، أو أحزاب سياسية، أو بنية تحتية نعتبرها من البدهيات. علينا أيضاً أن نحرك عجلة الاقتصاد، وهذا سيشكل تحدياً كبيراً جداً. عراق مستقر يحتاج أيضاً إلى قطاع خاص قوي."

جميعهم كانوا يدركون ضخامة المهمة، لكنها كانت المرة الأولى، ربما، التي تُحدد معالمها بكل تلك الصراحة والوضوح.

"دعونا لا ننسى الدروس المستفادة في اليابان وألمانيا. لا تعمل الديموقراطيات من دون بنية سياسية تستند إلى مجتمع مدني صلب. ... وأحزاب سياسية، وصحافة حرة، ونظام قضائي مستقل، وقوانين محاسبة مفتوحة عن التمويل العام. هذه هي "مصاصات الصدمة" الاجتماعية. إنها تحمي الفرد من قوة الدولة الغاشمة. كنت أنا وجورج بوش نتشارك هذه الأهداف من أجل عراق حر. وكان مهماً جداً لكل واحد منا هنا أن يبقى مركزاً عليها، مثلما نركز على الأزمات الملحة الطارئة.

"أخيراً،" قلتُ وأنا أغلقُ حقيبتي،"علينا أن نبتعد عن الغرور، على المستويين الفردي والمؤسسي. نعم، نحن قوة محتلة. ولا تمكن المراوغة حول ذلك. ولكن، علينا أن لا ننسى البتة أن هذا البلد هو للعراقيين. سيكون هدفنا مساعدتهم على وضع وطنهم على قدميه بأسرع وقت ممكن."

بعض النساء والرجال حول الطاولة بدوا مبتهجين، بعض الوجوه لم تبد أية عواطف، والبعض الآخر بدا حائراً.

"شكراً لكم جميعاً،" قلتُ. كان الوقتُ متأخراً، وكنت أحتاج لبضع ساعات من النوم لمقاومة دوار الطائرة. "سيكون لدينا اجتماع، غداً، لكامل أعضاء الفريق، في الساعة السابعة صباحاً."

رامسفيلد

كونداليزا رايز

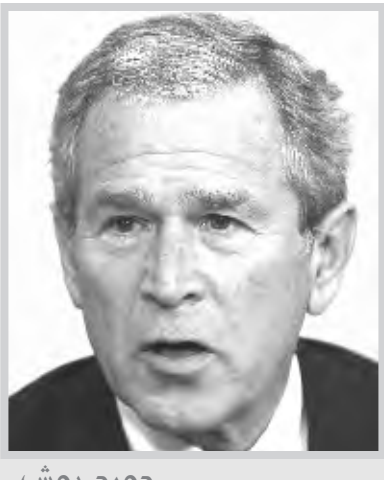
جورج بوش

بول بريمر

يتبع